الزمان – السنة العشرون العدد 5950 الاربعاء 13 من جمادى الأولى 1439 هـ 31 من كانون الثاني (يناير) 2018م
Azzaman Arabic Daily Newspaper Vol/20.Issue 5950 Wednesday 31/1/2018

نصوص | أنا وليلى قصيدة عمودية للشاعر قيس مجيد علي وأسماء محمد مصطفى في قصتين قصيرتين ونرجس عمران ترجم القهر

اضواء | في رثاء الشاعر البصري مجيد الموسوي وكرم الأعرجي في مقال نقدي وآخر يتناول رواية لحميد الربيعي وعبد الكريم يحيى الزيباري في خاطرة بين المسافات

فنون | البيوت التراثية القديمة شواخص باهية ومهددة بالإندثار وشكسبير وتأثيره في الموسيقا الكلاسيكية في ندوة جمعية المترجمين

رواية يوليانا لنزار عبد الستار

تقنية توظيف المدخل إجرائياً

محمد يونس
بغداد

المفردة والتعويض عن الممحو – ليس من السهل أن تكون العتبة تمثل مضمون الرواية بمجمله وهي مفردة واحدة لا غير، ومؤكد ذلك ليس سهلا وإن كان موجودا، وفي إطار الجنس الأدبي لا يحتمل ذلك تقريبا إلا الشعر، وفي حدود معينة، وفي الرواية الأمر يمثل بعدا مختلفا بشكل واسع، حيث تبدو لي المسألة الأساس، حيث الرواية عمل واسع لا يقارن بباقي الأجناس الأدبية، ولكن يمكن أن نقر بأن تقابله من الفنون السينما على وجه الخصوص، وأن يقترب المسرح من الرواية في الحوار والمشهد، وفي تفسير نص موازٍ مفردة واحدة، ليس هناك تفسير ثابت، لكن هناك من التفاسير التي هي في منطقها تكون الأقرب إلى القبول، التي تعبر المفردة كعتبة هي بمعنى تطور دلالته باستمرار، حتى تبلغ حدودا تقنع، لكنها تتجاوزها بعد القناعة، لكن بأن العتبة قد تكون أكدت وجودها الخارجي، أي أن تطور الدلالة لا يقف عند مضمون الرواية، ويسترسل بالتطور، وقد تبلغ حالة ما بعد المعنى، وهذه إشارة لتأكيد أن العتبة خارجية وليس داخلية بالمعنى، وهي بمركزها في الغلاف واعتبارها عنوانا تمثل انفصالا في بعد تجاوزها مضمون الرواية، وفي سياق آخر يمكن أن نضع عنوانا على كهذا، أي رواية أخرى، وهناك سياقات أخرى للعتبة التي تمثل مفردة كعنونة، سيان تمثل المضمون أو لا تمثله، وطبيعي في عدم التمثيل يكون النص الموازي نصا مقابلا للنص الروائي، وهي بمركزها في الغلاف وتعويضها عن ما محي منها، واعتبارها عنوانا تمثل انفصالا نسبيا في بعد تجاوزها مضمون الرواية .

من هذا التقديم نخلص الى فكرة تمثلت برواية –يوليانا –لنزار عبد الستار، تندرج تلك الفكرة في عدة ابعاد، ولكل بعد سماته، وصراحة أن تكون المفردة عتبة فبإطار الحساسية تمثل أكثر من وجه، وجه أولي يتيح للتلقي تأملا بشكل واسع، معتبرا التلقي أنه أمام كتاب تام هو النص الموازي، ومن جانب ثانٍ يكون النص الموازي فوق المتن النصي أيضا هنا، أي أنه نص علوي بصيغته النحوية وتعدد معاني دلالاته الغير مباشرة، من جانب ثالث فإن التوافق الذي يطرحه بعض النقاد بين النص الموازي ومتن النص الروائي، هو في صيغة أخرى، إذ يكون ذلك المنطق غائبا، حيث لا وجود لإشارة لذلك التوافق إن كانت العتبة مفردة، وحتى إن وجدت داخل سياقات السرد أو في حوار أو توصف كرمز معين، من جانب رابع لا تمثل المفردة العتبية وجها ملحقا نصيا خارجيا يحيط بالنص كإشارة تامة، لأن العتبة الخارجية بصيغتها النحوية لا تعطي منطقا إلا تبريرا، وتدلل على ذاتها داخليا، وتبقى وظيفة العتبة الخارجية بصيغتها كمفردة تامة وخالصة تدلل على عنونة فقط في الصيغة البصرية، وعبر موقعها على الغلاف.

تطور بنية المدخل

إن الاستهلال أحد الأسس القديمة في التراث الأدبي لبناء المادة الأدبية، ويعتبر من أهم ما يعطي انطباعا للمتلقي على وجه الخصوص العضوي عن النص الأدبي، على اعتبار أن الاستهلال واجهة تشير إلى طبيعة النص الأدبي جماليا على وجه الخصوص ,وسيان كان النص الأدبي سردا كمادة روائية أو قصصية، أو يكون شعرا أو خطابة أو ما شابه ,وطبعا الاستهلال برغم قصر حجمه الذي يؤشره أرسطو على أنه سطر أو سطرين، لكن من الطبيعي أن يعطي انطباعا على أنه تام وكامل، وقد يكون نصا كاملا متمثلا بذاته، فقد كتب كتاب كبار جملا قصيرة بمزاعم أدبية، منها ما كان تجنيسيا وآخر مجرد كلام أدبي حسي، لكن لو توجهنا إلى الرواية تحديدا لوجدنا أن الاستهلال يشكل وجها مختصرا للكيان الروائي علاماتيا أو دلاليا أو عبر اشارة وصفية، ولأن بؤرة السرد في الرواية لا تبدو بتمظهر مباشر من الاستهلال، فإن الاستهلال كمدخل إحالي وموجه يكون ذا دور رئيس في مضمار الإشارة الضامرة إلى بؤرة السرد، والتي قد تبقى كامنة نسبيا حتى نهاية العمل الروائي، وإن الاستهلال بعنوانه القديم لا يتلاءم مع التحولات الأدبية والتطورات في الأجناس الأدبية، ففي الشعر مثلا تجد أن قصيدة النثر وكذلك قبلها التفعيلة، قد أثرتا على سياقية الاستهلال، فصار نصا، من جهة هو منفصل كنص شعري بذاته، ومن أخرى هو متصل ويمثل استهلال كيان القصيدة، وهذا ما أسمته جوليا كريستيفا (البنصوصية)، والسرد أيضا بعد التطورات التي مرت بها منظومته قد غير بعد الاستهلال الأساس، ، فكانت هناك في رواية –يوليانا –اكثر من استهلال او مدخل خارجية وداخلية، وكل له سمته ودافع مغزاه، وما هو بقصد رؤيا اتي، او قد وظف بهدف تقني، ونتوافق مع النقاد الذين يرون أنه صار (مدخل) فني السمة، لكن لاتنتفي صفة أنه استهلال أو مفتتح، لكن تحديد موضع كل مدخل في الرواية مهم هنا.

أعتقد أن الرواية الجديدة، وعلى وجه الخصوص الرواية العراقية أوجبت تعدد ذلك المدخل الاستهلالي، هذا ما احالتنا اليه رواية –يوليانا – حيث كان هناك مدخل اولي ليس ووفق مقتضيات فنية، وبهدف ذاتي هو قد صار مدخلا خارجيا، وهذا المدخل الخارجي لا يلزم مضمون النص الروائي، وهناك آخر يعتبر مدخلا داخليا، وهو ملزم بالإرتباط الوثيق لما يوصف أو يشار إليه كمسرود أو يحكى.

تزعزع الاطار

إن تلك الأنماط المستجدة من الاستهلال، لم تزعزع الإطار الأساس من الخارج، بل صارت هناك ضرورة تتطلب حصول إجراء مستجد في كيان الاستهلال، حيث إن الروائي نزار عبد الستار قام بعمل كتابي مستحدث، فهو قد وضع جلة اشارية لها وقعها عليه وعلى النص الروائي كما يحس، وهذا ما يتطلب منه أن يعول على تلك الضرورة، ولذا يمكن هنا اعتبار تلك المادة الأدبية كنص هي إشارة خارجية، لكن تكون مدخلا بكل الاعتبارات، وحسب حرفية الكلمة إننا لابد أن نمر بها، وإن كان مرورنا بها فضوليا، وليس هو كما في تلقينا المتن الروائي عضويا، اما تلي تلك الأشارة ذات الطابع التاريخي، هي نص مجزوء ببعد دلالي، هو ابعد من الأول بمضمونها السردي، وسنتناول كل من المدخل الخارجي والاخر الذي يليه حسب التوصيفات والعوامل والصيغ الأجرائية .

المدخل الخارجي –هو ما يسبق الاستهلال، أي هو جملة أو أكثر مضمنة أو من الكاتب نفسه، يشعر بأهميتها، فيجعلها تتصدر العمل الروائي كمدخل شخصي وهو يكون هنا مدخلا خارجيا، وما واجهنا اولا في رواية –يوليانا – بعد النصيات الجزئية غير داخل في صلب النص، من دار النشر وسياقات التصميم والرقم الدولي، وقد اتخذ المدخل الخارجي موقعه بشكل مستقر ومنفصل.

يبدأ المدخل الخارجي من صفة اشارة، لكن ليس الا ببعد تحديد بحرف جر، حيث اشير الى من حملوا الصليب، هو لا لبس أنهم من المسيحين، ومن ثم يحدد لنا المدخل الخارجي المكان، والذي فيما بعد ندرك أنه ذات مكان احداث الرواية، ولا تقف الأشارة عند تلك الحدود، بل تتقد الى الصيغة التاريخية، وتحديد ظرف الزمان، فيكون المدخل الخارجي بها قد اكمل كل اجزاء مهمته، والتي كانت اخبارية ليس الا، وطبعا لاينتهي بإنتهاء اخر مفردة في ذلك المدخل مغزاه، وكما لايقف بعد التلقي التأويلي هنان بل لابد أن يتضاعف بعد التأويل، وينتج القارىء نصه المفترض من ذلك المدخل، وتتعدد صفات انهمامات القارىء للدخول الى المتن النصي .إن الصياغة اللغوية لجملة المدخل الخارجي، قد احتملت أن تكون ببلاغة جديدة تتصل بنظام المعنى الذي يحيل الى معنى اخر، فالجملة في التحليل البنيوي منتجة لمعاني عدة، حيث تبدا من الصيغة النحوية والتي هي تحيل لأحد انماط افعال الكلام، ومن ثم يتأكد البعد الأشاري المباشرة، وبعد اسقرار الصفة النحوية، تتجه الجملة الى معني مجاورة، اغلبها تتصل بحمل الصليب، والتي هي جملة استعارية، وليست تدخل في صلب المعنى الإشاري، بل هي تكون ابعد من ذلك، وتحيل ايضا الى معنى قد يكون مجاور لكن بصيغة ابلغ، لاتقف عند الحد الإشاري، وتحيل الى معنى اوسع قد يحتوي مضمون المتن النصي بمجمله، وهنا تكمن قيمة ذلك المدخل وامتيازه ودوره في اغناء كيانه على اقل تقدير .

العنونة والمتن

المدخل الداخلي –هو مدخل وسيط بين العنونة والمتن، وعادة ما يكون هو موضوع ما يحيل مباشرة إلى متن النص الروائي، وهو طبعا جهة وسطية بين العتبة أو العنونة وبين النص، وكوحدة توصيل العنونة إلى متنها، وهو من كيان النص، لذا اسميتها بالمدخل الداخلي، وشكل هذا المدخل في رواية –يوليانا –صيغة موضوع .

تثير رواية –يوليانا – في مدخلها الداخلي، والذي يمثل وسيلة ربط تام تقريبا، او هي تكون كمعبرة من العنونة مباشرة الى المتن النصي، مسألة حساسة في اكثر من جانب، والأول منهما هو يمثل عكس فكرة انسانية عن ظروف الطائفة المسيحية في العراق، وذلك ليس اشاريا، بل هناك استعارة من المضمون قد وظفت هنا لغاية مبؤرة، وتلك الغاية ستكشف داخل مجريات الأحداث تدريجيا، وبمستويات ليست اجماليةن بل من الطبيعي يكون ذلك نسبيا، ومن الجانب الثاني نخلص الى إن المدخل هنا قد بلغ حدودا نصية مفترضة، اي هو صار نصا يوازي المتن النصي ويتعالق معه ايضا، لكن عبر التفسير العلمي الذي تحيلنا اليه جوليا كريستيفا، بإن هناك بنصوصية، او هناك نصوصا متوالية ومتوازية ومتراكبة ايضا، وهذا يعني إننا امام تقنية تقربنا نحوها وتغوينا بنفسيرها وتنسيبها الى اليات تقنيات ما بعد الحداثة، والتي هي تمنح النص الروائي بتأهيل نفسه بنفسه، فيكون منتجا لمفتراضات نصية توازيه من جهة، ومن اخرى تكون جزءا من كيانه .

صراحة هذا السياق التقني في المدخل نحيله الى ما نراه اللعب على اللعب، حيث هنا استثمار لما يتاح، بعد ما تمر به من تحول بنية النص من البنية الظاهرية الى البنية العميقة، وقد لعب الروائي نزار عبد الستار لعبته في المدخلين الخارجي والداخلي، وبان التأثير الكبر في المدخل الداخلين حيث إن نسب ارتباطه بالنص اكبر من نسب سابقه، وكما أن بنيته اللغوية مندمجة مع البنية اللغوية فكريا وواقعيا وعقائديا، ويمكن رسم صورة بيانية للتقابل وفق الرسم الدلالي التالي –

التقابل التعالق
الترسيم البنية
نصي موضوعي بياني
جزئي عميقة
توالي دلالي تفسيري
تام ظاهرية
–المدخل
– المتن

وصفة العلائق ما بين المدخل والمتن علاقة تفسر، على إنها ليست افقية، أي تتخذ مسار سرديا واحدا، بل هنا اكثر من مسار سردي، ويرتبط بعدة معالم سردية، منها عنصر اللغة والزمن وحتى الأيقاع .

هذ المدخل في واحدة من وجوهه هو فني الصفة، أي يفترض لنا الروائي نزار عبد الستار أن ندخل للرواية من خلاله، وهو يكون لا يهم عن شكل جملة تتصدر الصفحة التي تسبق بداية انسياب المتن، وكان عبارة عن مجموعة من الإشارات على شكل كلمات تتجه لمعنى تام، لكن هي هنا تامة بذاتها، وإن علاقتها من الأفكار الإساس، فهي تأخذ وضعا مختلفان فتكون جملة في سياق مسار الحدث نحو النتيجة، وطبعا هي ليست بجملة اعتراضية، وإنما تكون بإطار تداولي، لكن هناك لايتاح لها التعريف عن نفسها بنفسها، بل عن الجملة السابقة تتيح لها التمظهر الصوتي، وكذلك الجملة اللاحقة تمنحها حرية نسبية للتعريف.

غلاف الرواية

مصطلح العصر الجاهلي.. مرة أخرى

شكيب كاظم
بغداد

اولا – في زاوية (كتب لا تموت)كتب الباحث العراقي المغترب المتمكن (رشيد الخيون)،عرضا أو إضاءة ولا أقول تغطية،كما شاع في أساليب الصحافة ,متأثرين بالكلمة الإنكليزية (cover) عرضا لكتاب المؤرخ العراقي الكبير الراحل الدكتور (جواد علي) (1907 –1987) (المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام) تفنيد مصطلح الجاهلية ,إذ جاء قول الاستاذ الخيون"في الجزء السابع من الكتاب يدرس مؤرخنا الحياة الاقتصادية، بما فيها من حضارة الزراعة والري والتجارة والحرف والري، وكأنه يريد القول"كيف نحصر هذه الحضارة بالجاهلية وعندما نقول (الجاهلية) نعني إنكار وجود العقل،وليس مثلما برر المتأخرون،اطلاق هذه التسمية بأنه الجهل بالإسلام ووحدانية الله،وحتى هذا لم يكن دقيقا،فتلك الحضارة عرفت الله حق معرفته وعبدته على طريقتها،اوبما أفرزته الحياة أنذاك".

تغيير مصطلح

اقول: إن لفظة (الجاهلية أو الجاهلي) لاتقدح بكرامة العرب،كي نغيره أو نحاول تغييره إلى مصطلح (العرب قبل الاسلام)وهو مادعت إليه الجهات الثقافية في العراق،نهاية عقد السبعين من القرن العشرين،ودعت إلى درسه ومناقشته،وكان الملحق الاسبوعي لجريدة (الجمهورية)الذي كان يصدر كل يوم سبت مكانا لنشر هذه الدراسات والبحوث،وبين يدي عدد الملحق الصادر يوم السبت 15–4–1978 وبالعدد المرقوم 3246 لان لي مقالا فيه إلى جانب المؤرخ الكبير جواد علي،الذي أوضح أن مصطلح الجاهلية الذي ترجم إلى اللغات الأجنبية بالجهالة والجهل مصطلح نشأ عن جهل بكيفية نشوء المصطلح (...)وعندي أن الموضوع غير مهم،لانه"مصطلح" ولا مناقشة في المصطلحات (....) أود القول إني رجل عملي (هكذا وردت،واظنه يقصد علمي وحصل خطأ في الطبع)،ولا احفل كثيرا بالمصطلحات... إنما أهتم بالنتاج. نتاج الإنسان الذي هو الأساس في تكوين التأريخ،فالتاريخ شيىء مضى،ولا يمكن أن يخلق جيلا جديدا،انما الجيل هو الذي يخلق التأريخ..كل ما يستطيع التأريخ الماضي أن يفعله في حاضرنا هو أن يقدم لك حاصل حساب،قديكون مسرا،وقديكون غير مسر،ويمكن الإفادة منه كتجربة.

أما الأستاذ الدكتور محمد توفيق حسين ،فذكران كلمة الجاهلية وردت في القران الكريم،وصفا لبعض أحوال العرب وظروفهم الاجتماعية،فاتخذها المسلمون مصطلحا اطلقوه على تأريخ العرب السابق على ظهور الإسلام،وشاع المصطلح (...)وفي ذلك شيىء كثير من الغبن لهذا التاريخ،ولم يكن المسلمون أول قوم يفعلون ذلك بمخالفيهم العقائديين أو الحضاريين،فالاغريق اعتبروا كل من ليس اغريقيا بربريا.

في رأيي (...) أن نعيد النظر في هذه الفترة من تاريخ العرب،على ضوء الوقائع التاريخية،والاثار المكتشفة،والتحليل العلمي للحضارات،فنستعمل (...)مصطلح (العرب قبل الاسلام)،وهو مصطلح دقيق ومحايد.

أما الأستاذ الدكتور هادي حمودي أحمد الحمداني فقال"وفي رأيي أن اصطلاح (الجاهلية) لو بقي على حالته دون أن يتعرض للمناقشة والتفضيل لكان أفضل في دلالته وتركيبه،بعد أن أصبح رمزاً لعصر من العصور التاريخية (...) إننا أحوج ما نكون الآن إلى غلق باب المناقشات في أمور نختلف فيها،ولانصل بعدها إلى نتيجة ترضينا .واقول إن رأي الدكتور هادي من اجرأ الاراءالتي قيلت لأنه لم يكن يوافق توجهات المؤسسة الرسمية الثقافية أما أنا فقلت في مساهمتي في النقاش ذاك" إن وصف العصر الذي سبق الإسلام بـ(الجاهلي) قد جاء

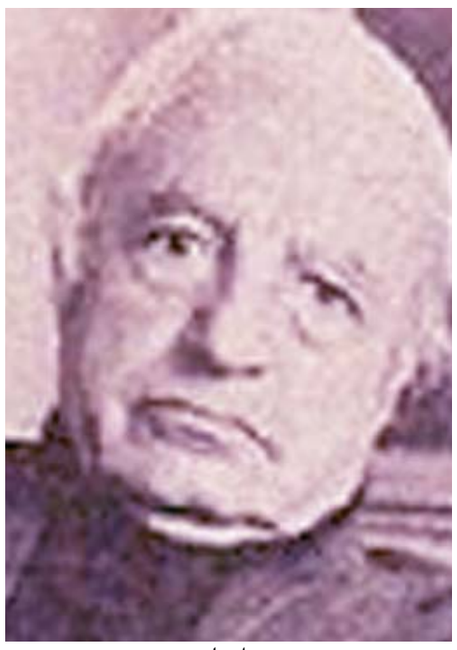

جواد علي

في نصوص عدة،هي القرآن الكريم واحاديث رسول الله (ص) وكبراء العرب في العصر الإسلامي،ولاضير من اطلاقنا التسمية ذاتها على ذلك العصر،خاصة وأنها متداولة منذ ذلك الوقت،اضافةالى أن ليس في التسمية ما يقدح فينا كعرب.اقول لقد دونت رأي الدكتور جواد علي الذي كتبه سنة 1978 ولا ارى ضرورة أن نقوله ما لم يقل ولاسيما أننا نكتب لذاكرة الحياة وللعلم أو كما ذكر الباحث الخيون (وكأنه يريد القول)فجواد علي قال الذي يريد قوله.

ثانيا - الشيء الثاني الذي أود الوقوف عنده،قول الباحث رشيد الخيون"ولد جواد علي ببغداد،مدينة الكاظمية في العام 1907(...) أكمل الدراسة الثانوية،في مدرسة الإمام أبي حنيفة النعمان،حيث مدينة الأعظمية السنية،والتي مابينها ومدينة الكاظمية الشيعية عبور دجلة،يوم لم يكن الإنتماء المذهبي أو الديني بالحسبان،وكان بمعيته أخيه وصفي علي،فلما دخلا مدرسة أبي حنيفة،قال لهما مديرهما الحاج نعمان الاعظمي (ت 1939).

– أنت جواد علي واخوك وصفي علي،بعد أن كان إسم ابيهما عبد علي." وقد رجع الباحث الثبت رشيد الخيون،الى كتاب (الآثار العربية.منتخبات المؤرخ الدكتور جواد علي،مكتبة الاسكندرية .2014مقدمة بشار عواد معروف)مما يدل وليس (يدلل)– كماورد–أن جواد علي لم يكن مشغولا منذ صباه بما يشير إلى المذهب أو القوم،فظل هذا الإسم ملازما له .

توثيق علمي

أقول: اذ أختار الدكتور جواد علي هذه التسمية،فان أخاه الطبيب العدلي،الذي شغل وظيفة مدير معهد الطب العدلي ببغداد سنوات طويلة،كان يعرف بـ (وصفي محمد علي) وليس عبد علي،اوعلي. اورد هذا للتوثيق العلمي والتاريخي فحسب،فاناغير معني بما توحيه التسميات.

ثالثا - قرات خبرا عن فوز الباحث والروائي التونسي شكري المبخوت بجائزة الملك فيصل العالمية في فرع اللغة العربية والادب لقدرته على تمثل المنجز النظري بلغة نقدية رصينة علميا وجماليا.في تفاصيل الخبر ورد–كذلك–ان جائزة فرع الدراسات الإسلامية ،وموضوعه في هذه الدورة (الأعمال التي أنجزت في تحقيق كتب التاريخ الاسلامي والتراجم) قد ذهبت الجائزة إلى الأردني بشار عواد..استاذ الحديث في جامعة العلوم الاسلامية العالمية بالأردن.

قلت: ان الأستاذ الدكتور،بشار عواد معروف، استاذ عراقي وهو ابن أحد الإخوة الذين كان لهم شأن أي شأن في الدرس التاريخي والتربية وهم الأستاذ الدكتور ناجي معروف (1910–1977) صاحب موسوعة،عروبة العلماء المنسوبين للبلدان الاعجمية ، وشقيقه التربوي أحمد معروف (1918–1969) الذي كان أحد مدرسي الثانوية المركزية ببغداد القريبة من وزارة الدفاع،يوم انتظمنا للدراسة فيها في العام الدراسي 1960–1961 أما الدكتور بشار فكنت احظى بحضور مناقشاته للبحوث العلمية في الماجستير والدكتوراه في معهد التاريخ العربي والتراث العربي للدراسات العليا، يوم انتظمت للدرس في المعهد سنة 2001– 2002 وكان جادا في مناقشاته وعلميا وكثيرا ما امتنع عن قبول اطاريح ورسائل لانها كانت تفتقر الى الدقة والعلمية، ويمنح الطالب اشهرا كي يعيد كتابتها.هذه شهادة للحقيقة ولتأريخ الرجل الناصع علميا الذي جاءته الجائزة السنية البهية تسعى.

حاشية

(1) نشرت الدراسة في احدى الجرائد العربية الصادرة في لندن بتاريخ السبت 13/ كانون الثاني /2018.